النقد البيئي من الاستنطاق الجماليّ للخطاب إلى الطّرح الإيكولوجيّ

Environmental Criticism From the Aesthetic Interrogation of the Discourse to the Ecosystem.

صليحة شتيح*
Saliha Chettih
مخبر تحليل الخطاب جامعة تيزي وزو
جامعة آكلي محند أولحاج _ البويرة.(الجزائر)
University of Akli Mohand Oulhadj -Bouira. (Algeria)
s.chettih@univ-bouira.dz

تاريخ الإرسال: 2025/03/15	تاريخ القبول: 2025/08/16	تاريخ النشر: 2025/09/02

مُلخّص البحث

تسعى ورقتنا البحثية إلى تسليط الضوء على المقاربة النقديّة الجديدة التي عرفت في الدّراسات المعاصرة تحت مسمى النّقد البيئي، وذلك بغرض الكشف عن الإطار المعرفيّ الذي أنتجها، وكذا الطروحات التي تبلورت في ظلّ الدّعوات الملّحة إلى ضرورة تبنيها ضمن التّحوّلات التي شهدتها مرحلة ما بعد الحداثة، إذ ما فتئ النّقد البيئيّ يبسط طريقه نحو السّاحة النّقديّة ليجسّد مركزيّة جديدة، تجعل من البيئة محور الاهتمام في مكاشفة الخطابات الأدبيّة، والوقوف عند البعد الجماليّ الذي تشتغل عليه الأنساق البيئية التي تؤثّث بنيتها الإبداعيّة. وهو ما يطرح بعض التساؤلات حول خصوصيّة هذا الاستنطاق، وكذا السّياق الذي تشتغل في ظلّه آلياته الإجرائيّة وهي تسعى نحو استحضار الوعي الإيكولوجيّ عند المبدع حين يتمثّل ملامح الطبيعة ضمن مسارات تجربته الإبداعيّة. وقد استطاع النّقد البيئي في سيرورته الحديثة أن يفرض أنموذجا جديدا في التّفكير النّقديّ، تتم من خلاله مقاربة النّصوص على ضوء مقاصدها البيئية، وحمولاتها الثقافيّة التي تجعل القارئ يربط جسر التلقي بأبعاد الفعل التّخييليّ، وطبقات المعنى المتوارية خلف معارج اللغة، لنكون بإزاء حركة قرائيّة بيئيّة تجمع بين البعد الإنسانيّ والجماليّ والإيكولوجي في مقاربة الخطاب الأدبيّ.

الكلمات المفتاحية: نقد بيئي، طبيعة، مقاربة، جماليات النصوص.

Abstract:

Our research paper seeks to shed light on the new critical approach that was known in contemporary studies under the name of environmental criticism, in order to reveal the knowledge framework that it produced, as well as the proposals that have

* صليحة شتيح s.chettih@univ-bouira.dz

crystallized in light of the calls The urgent to the necessity of adopting it within the transfers that witnessed the postmodern stage, as environmental criticism has been extending its way to the monetary square to embody a new centralization that makes the environment the focus of attention in the literary speeches, and standing at the aesthetic dimension on which environmental formulas that furnish its creative structure work. This raises some questions about the privacy of this interrogation, as well as the context in which its procedural mechanisms work as they seek to evoke ecological awareness of the creator when the features of nature are within the paths of his creative experience. Environmental criticism in its modern process has been able to impose a new model in critical thinking, through which the texts are approached in the light of its environmental destinations, and its cultural loads that make the reader link the reception bridge with the dimensions of the imaginary action, and the classes of the meaning behind the language of the language, to be in the face of an environmental reading movement that combines the human dimension Aesthetic and ecological in the approach of literary discourse.

Keywords: environmental criticism, nature, approach, aesthetic texts.

المقدّمة:

تتوشّح الدّعوة التي نادت إليها تحولات ما بعد الحداثة بالانفتاح على مختلف الأطر النّقديّة التي تسهم في قراءة الأعمال الإبداعيّة وفق نسق استشرافيّ، يتجاوز المألوف، وينزع نحو خصوصيّة البيئة، والتّداعيات التي باتت تطرحها روح العصر، إذ ما فتئت الدّعوات هنا وهناك إلى ضرورة الانعتاق من بوتقة الطروحات النّقديّة التّقليديّة، لتظهر الدّعوى إلى ضرورة ربط القراءة النّقديّة للنّصوص بالروائز التي أنتجتها، فتكون البيئة والطبيعة ضمن صدارة هذه الروائز، وضمن المحدّدات التي طبعت النّقد في الفترة الأخيرة بمِسْمَها المنفتح.

إنّ الاستجابة لنداء الطبيعة في الممارسة النّقديّة لم يكن ليتأتّى لولا الخصوصيّة التي تتميّز بها المرحلة الآنية، إذ إنّ كتابة المستقبل في الممارسات النقديّة المعاصرة، تفرضها العلائقيّة التي يربطها المنهج الجديد بطبيعة عصره، ومدى استجابته لما يعيشه الإنسان المبدع من جهة، وما يعيشه المتلقي من جهة أخرى، ليكون النّاقد وفق هذا أمام ثنائيّة يستدعي طرفاها استحضار السّياق المناسب الذي يجمعهما، وهو ما يجسّده النّقد البيئي (Ecocriticism) في مرجعيّة الوجود والطبيعة.

وعلى هذا الأساس تنطلق دراستنا من إشكاليّة كبرى ترتبط بالبحث في خصوصية الطرح الذي يقدّمه النّقد البيئي، باعتباره فرعا معرفيا جديدا ينتمي إلى حقل النّظرية النقدية المعاصرة، لتنضوي تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات التي تبحث عن مفهوم هذا النّقد والخلفيات المعرفية التي أسّست لظهوره؟ وكذا عن أهميّة البعد الجماليّ الذي يتجلّى من خلال البيئة في النّصوص الإبداعيّة؟ وعن الجدوى المنهجيّة التي تقدّمها الممارسة النقديّة في ظلّ هذه المقاربة؟

تروم هذه الدّراسة الإجابة عن تلك الإشكاليات، من خلال إماطة اللثام عن القضايا ذات الصّلة بخطاب البيئة ونقده، إذ يتم التركيز على الإطار المرجعيّ الذي أسهم في بلورة تصورات النّقد البيئي، والذي استقى منه مفاهيمه النّظرية وآلياته الإجرائية، كما تولي أهميّة بالغة للقيمة الجماليّة التي تزخر بها النّصوص الأدبية وهي تعبّر عن البيئة وعناصرها المختلفة من خلال التطرّق إلى ملامحها وسبل تحقيقها على مستوى الخطابات. إضافة إلى مناقشة السياق العام المرتبط بعلاقة النقد البيئي بتحولات ما بعد الحداثة، والذي احتضن أهم الأهداف الذي قامت عليها رؤيته النقدية حين دعت إلى ضرورة تمثّل الوعي الإيكولوجي أثناء مقاربة النّصوص وتحليلها.

1. تأطير مفاهيميّ للنّقد البيئيّ:

يقتضي التّدرّج المنهجيّ الخوض في تحديد الإطار الذي نشأ فيه الحديث عن النّقد الأدبيّ البيئيّ (Environmental Literary Criticism) قبل الولوج إلى الطروحات النقديّة التي يقدّمها روّاده. إنّ الدّعوة إلى ضرورة الوقوف عند معادلة التّوازن البيئيّ، تعدّ من أبرز المواضيع التي طرحها العالم المعاصر، والتي كانت سببا مباشرا في ظهور النّظريّة النّقديّة للبيئة، على اعتبار أنّ ما استجدّ على الواقع من تغيّرات جذريّة واسعة هدّدت البيئة الطّبيعيّة، وخلقت حالة من الذّعر حول مستقبلها، تسبّب في إحداث حراك فكريّ عميق بغرض إيجاد حلّ لهذه المعضلة منذ ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، وهو ما نتج عنه ظهور الثّقافة النّقديّة البيئيّة في التسعينيات من القرن نفسه.[1] ليصبح الحديث عن النّقد البيئيّ طرحا مشروعا له تداعياته وخلفياته التي أسهمت في توليده كغيره من المناهج النّقديّة التي تعاقبت على السّاحة الأدبيّة على عقود من الزمن* ، سواء ما تعلّق منها بالمناهج السّياقيّة أو النّسقيّة أو ما بعد البنيوية وما جاء بعدها إلى يومنا هذا.

وبما أنّ طبيعة المعرفة البشريّة تقوم على فكرة التّراكم التي نادى إليها توماس كون (Thomas Samuel Kuhn) في مؤلفه بنية الثّورات العلميّة[2]؛ فإنّ النّظريّة النّقديّة المعاصرة قد احتضنت الدّعوة إلى ضرورة ظهور مقاربة نقديّة جديدة، تُعنَى بالنّقد البيئيّ ضمن منظومتها وفق هذا الإطار التّراكميّ، الذي يسلّم بفكرة كون المعرفة الإنسانيّة على اختلاف أنواعها وتخصصاتها، تولد وتنتج وتستمر وفق مبدأ التّراكم والتكامل والتّتابع؛ بحيث يأتي منهج نقديّ ليعالج قضيّة ما وفق منظوره الخاص، ثمّ لا يلبث أن يظهر على أنقاضه منهج آخر يكمّله أو يعدّله أو يناقض بعض مبادئه ويأتي ببديل عنه، وهكذا دواليك حال المعرفة البشريّة والنّقديّة منها على وجه الخصوص، إذ لا نفتأ نجد الطروحات النّقديّة تجدّد نفسها، وتطرح البدائل وفق تغيّر براديغم التّفكير البشريّ، حتى أنّنا نجد النّقاد الذين تبنوا طرحا معيّنا في منهج نقدي ما يتخلّون عنه، بل ويتبنون غيره مع منهج لاحق، مثلما حصل مع رولان بارت وغيره في تحولاته من البنيوية إلى ما بعدها. وهو ما ينطبق على تحولات ما بعد الحداثة، وما انجرّ عنها من تغيّرات على مستوى الفعل النقديّ على وجه الخصوص، وهو دأب المعرفة عموما، وما النّقد الأدبيّ إلا مظهر من مظاهر متعددة لها.

اتّضحت الدّعوة الصّريحة إلى النّقد البيئيّ بأمريكا وأوروبا في تسعينيات القرن العشرين، وبالرغم من ذلك فإنّ ظهوره الأوّل يمتدّ إلى فترات أقدم من ذلك، إذ كانت قضيّة الطبيعة بشكل أو بآخر مدار اهتمام الباحثين في الأدب ومؤرخي الفكر منذ البدايات الأولى لهذه المجالات[3]. ولعلّ ملامح وتجليّات هذا البوادر عند النقاد العرب القدامى خير ما يؤسّس لهذا المنطلق، إذ تمثّلَ الفكر النّقديّ والبلاغيّ العربيّ الطرح البيئي ــ وإن لم يكن وفق المنظور المعاصر ــ منذ بداياته الأولى؛ حيث قام النّقاد بتحديد مفهوم الشّعر وفق إطار بيئي بامتياز حين عُدَّ معدَن علم العرب، والسّور المضروب على مآثرها، والخندق المحجوز على مفاخرها. كما ارتبط قول الشّعر عندهم بالفضاءات البيئية التي يتخيّرها الشعراء كأماكن يلجؤون إليها حين يواتيهم شيطان الشّعر، أو تجتاحهم رغبة القول والبوح مثل: (الرباع المُخلية، الرياض المُعشبة والمزهرة، الماء الجاري، المكان الأخضر الخالي...)[4] وغيرها من الأماكن التي كان الشّاعر يلجأ إليها، فتترك تأثيرها البالغ على نفسيّته ممّا يؤثّر على الطريقة التي يقول بها الشّعر.

وينطبق هذا كذلك على البدايات الأولى للنّقد الارتجالي، التي انطلقت من معطيات ذات صلة بالبيئة مع قصة تحكيم أم جندب بين زوجها امرئ القيس وعلقمة بن عبدة الفحل حول أيّ الشاعرين أفضل من خلال وصف الخيل؛ حيث خضع حكمها النّقديّ إلى معيار يرتبط بالبيئة، وذلك من خلال الطريقة التي تتم بها معاملة الخيل من قبل الشاعرين، فكان حكمها لصالح عبدة الفحل كونه عامل فرسه بإنسانية ورحمة فانقادت له دون أن يجهدها، على غرار امرئ القيس الذي أظهر في شعره أنّه يعاملها معاملة قاسية فيتعبها وتُجهد من معاملته[5].

إضافة إلى ذلك تحضر تيمة البكاء على الدّيار أو الأطلال، التي تعدّ مظهرا من تجليات البيئة والطبيعة، كمعيار اتّخذه النقاد منذ بدايات التأليف الأولى، لجعل امرئ القيس على رأس الشعراء أثناء تصنيفهم وفق تراتبية الفحولة والأفضليّة، ليرجعوا مكانته هذه إلى كونه سبق غيره من الشعراء إلى ابتداع تلك التيمة (التبكاء على الدّيار) وقد استحسنتها العرب واتبعه فيها الشعراء الذين جاؤوا بعده[6]. حتى غدت هذه الطّريقة من الركائز الأساسية التي تقوم عليها القصيدة العربيّة في الشّعر الجاهليّ، واستمرّت كتقليد شعريّ ردحا من الزّمن.

أمّا بالنّسبة إلى المنطلق الغربيّ فيعود أصل مصطلح النقد البيئي في الدّراسات الأدبيّة إلى "الناقد ويليام روكيرت (William Rueckert) الذي أسّس له في مقالته الشهيرة: (الأدب والبيئة: تجربة في النقد البيئي) سنة 1978، ليلقى هذا الطرح شرعيّته ضمن اجتماع رابطة الأدب الغربي سنة 1989 في (Coeur d'Alene) عندما قامت شيريل غلوتفيلتي (Cheryll Glotfelty) بإحياء المصطلح، ودعت إلى اعتماده للإشارة إلى المجال النقدي المنتشر الذي كان يُعرف حتى ذلك الحين باسم (دراسة الكتابة عن الطبيعة). ليقوم غلين لوف (Glen Love) بتأييدها ضمن الاجتماع نفسه في خطابه المعنون بـ (إعادة تقييم الطبيعة: نحو نقد أدبي بيئي) حيث تمّ حينها اعتماد المصطلح، ولقي التفافا ورواجا ضمن ساحة الدّراسات النقدية فيما بعد"[7].

وبما أنّ جريج جرارد (Greg Garrard) يُرجع المنبع الأول الذي نشأ في ظلّه النقّد البيئيّ إلى طبيعة الحركة البيئيّة ذاتها، لكونها اجتماعيّة وفلسفيّة وسياسيّة؛ فإنّ هذا يجعل منه حقلا معرفيا يتقاطع مع التاريخ وعلم النفس والفلسفة والأخلاق وغيرها[8]، وهو ما يجعل من الممارسة النّقديّة البيئية تقوم على فكرة البَيْنِيّة وتداخل المعارف

والتخصصات التي اجتاحت الفكر المعاصر، ووسّعت من دائرة التقاطع المعرفيّ التي تستند إليها النّظريّة النقدية المعاصرة في مقاربة النّصوص واستنطاقها.

وجدير بالذّكر أنّ الدّعوة إلى الالتفاف حول مشروع النقد البيئي قد ارتبطت بالدّراسات الثّقافية، التي تتوسّع دائرة اهتمامها على مختلف التيمات والمجالات ذات الصلة بالبعد الإنسانيّ العام، إذ تعدّ البيئة من أهم القضايا التي احتفى بها الدّرس الثقافيّ المعاصر بغرض استنطاق الأنساق المضمرة التي تكتنف خطاباتها[9]، والكشف عن الدّلالات المتوارية خلف أستار لغتها. وقد "لفتت الدّراسات الثقافية النّظر إلى سؤال البيئة، انطلاقا من وعيها بأنّ سلوك البشر في تعاملهم مع البيئة سلبا وإيجابا إنما هو سلوك ثقافي بالدّرجة الأولى، تسيّجه خطابات كثيرة هي في حاجة دائمة إلى تفكيك وإعادة نظر وقراءة"[10].

وقد يكون من بداهة القول إنّ الخطاب البيئيّ "يدين في كثير من أفكاره وتصوراته إلى الرومانسية وإلى إرثها الشّعريّ والأدبيّ الحافل بالاهتمام بالطبيعة...ولقد حاولت جهود المهتمين بالبيئة التّأسيس لفلسفة إيكولوجيّة تتكئ على أدبيات الرومانسية، معتبرة بأنّ الإرث الرومانسيّ يمثّل بالنّسبة إليها نوستالجيا جاذبة تماما مثلما كانت عوالم البدائيّة والفطرة الأولى نوستالجيا جاذبة بالنسبة للرومانسيين"[11]، دون أن يعني هذا أنّ الفكر البيئيّ قام على أنقاض المدرسة الرومانسية، أو هو امتداد قطعيّ لها، وهوما ستكشفه محطات البحث اللاحقة.

ولعلّ في هذا التمازج الخلاق ــ ضمن الخلفيّة المعرفيّة التي استقى منها النّقد البيئيّ مرجعيّته ــ ما يُنبئ عن ملامح الانفتاح في الأسس والمفاهيم النّظريّة والآليات الإجرائيّة التي تنطلق منها ممارسته النّقديّة، إذ يُسهم التنوّع المرجعيّ الذي تستند إليه المقاربات النّقديّة في توسيع أفق قراءاتها، ويجعل عمليّة تفكيك النّصوص تتّسم بالشموليّة والتّعدّدية في الآليات الإجرائيّة، وهو ما يجعل فضاء التلقي والقراءة تفاعليا تتجاذبه مدارات تأويليّة متنوعة، تستجيب لطبيعة النّسق الإبداعيّ المعاصر الذي يقوم على التّشظي ويُخاتل المعاني ليجعلها دلالات هاربة تخفي أكثر ممّا تعلن، وتمتنع عن السطحيّة والمباشرة التي تقتل جماليّة التّلقي ومتعة الحفر المعرفيّ بين ثنايا الخطاب.

2. جماليّة الممارسة النّقديّة وإعادة استدعاء السّياق:

إنّ البحث في المكنونات الجماليّة التي تزخر بها الخطابات الإبداعيّة يتوزّع على جوانب الخطاب المتعدّدة، فملامح جماليّته لا نجدها في متعاليات اللّغة الشّاعريّة حصرا، ولا في معارج الدّلالات المتوارية قطعا، بل هي مترامية الأطراف تَمْتَح من هذا وذاك، كما تترامى بأطرافها على مرجعيات الخطاب الخارجيّة، هذه الأخيرة التي نربطها في حديثنا هنا بما تقدّمه البيئة للنّص باعتبارها مرجعا وإطارا معرفيا وجماليا يستقي منه النّص ملامح جماليته، ويتربّع على عرشه بقدرته على تجسيد مختلف ملامحه وتصويرها.

ولعلّ السؤال الذي يلّح علينا في هذا المضمار يرتبط بالمحلّ الذي يقيم فيه النّقد البيئيّ القيمة الجماليّة للنّصوص، وبخاصّة أنّ ربطها بالبيئة يعدّ بمثابة إعادة استرجاع لقيمة السّياق الخارجي في بلورة النّص مثلما نادت به المناهج السياقية سابقا، فإذا كنا بإزاء السّياق في فلسفات ما بعد الحداثة فكيف يتموضع السياق البيئي ضمن إطارها؟ وفيم تكمن ملامح الجماليّة ضمن هذا السّياق الذي يجعل الخطاب يتوشّح بمَيْسَمِه الإيكولوجيّ الخاص؟

وإذا كان البعد الجماليّ للنّصوص يرتبط بـ "الخاصية الجمالية التي يضفيها الفنان على الأشياء بروحه التي تدرك الجمال"[12] فإنّ استدعاء السياق البيئي يشير إلى مكَمن الجمالية التي يحملها الإبداع من حيث علاقتها بمنتج الخطاب، باعتباره من يستحضر ذلك السياق، ويتماهى معه فيخرجه للقارئ في ثوب متكامل الأبعاد، تعكس لغته الإبداعية مواضع التّفرد فيه، بحيث تتبوأ المعطيات البيئية الأهميّة الكبرى ضمن السمات الجمالية المطلوبة في النّص.

تأسيسا على ذلك يعدّ النّقد البيئيّ استحضارا لـ "دور البيئة المهمّش، وجرس إنذار يشير إلى ما فعله الإنسان بها وأثر ذلك في الإنسان ذاته، والناقد البيئي يتعامل معها بنديّة واضحة؛ بحيث يتوقف الناقد مع حضور البيئة الجلي أو المتواري في النّص الأدبيّ، ويجلو علاقة الأديب بالبيئة وموقفه من قضاياها، بحيث يشكّل المبدع جزءا من البيئة لا مشاهدا أو واصفا لها، إنّه دراسة علاقة ما بين الأدب والبيئة الطبيعية بحيث نلمح الوعي البيئي والخيال البيئي في النّص"[13]. وهنا يتجلّى ملمَح آخر من روائز هذا الاتجاه بحيث تكون البيئة هي المرجع الذي تنبغي العودة إليه من خلال تفعيل علاقة المبدع معها وفق مبدأ (الإخلاء والإحلال) الذي يفرغ النّص من حمولاته الجانبيّة ليتم إحلال البيئة فيه ضمن مركزيتها، وجعلها تنعتق من فكرة التهميش التي طالتها في فترات سابقة.

وبما أنّ النّقد البيئي يسعى للكشف عن خصوصية العلاقة بين الأدب والبيئة فإنّه "يطرح عادة أسئلة من قبيل: كيف يتم تمثيل الطبيعة في هذه السونيت؟ وما هو الدور الذي يلعبه المكان الماديّ في حبكة هذه الرواية؟ وهل القيم التي يُعرَب عنها في هذه المسرحية تتفق مع الحكمة الإيكولوجيّة؟"[14] لتبوء لغة النّص بما تكتنزه من إحالات مرجعيّة حول البيئة وتمثيلاتها على مستوى البناء الخطابيّ، بحيث يتأسّس البعد الإبداعيّ في النّص على مدى تمثّله لمعطيات البيئة وعلاقته التفاعليّة معها.

يُقارب نقاد البيئة النّص الأدبيّ من خلال العناصر التي تشكّل حلقات بنائه، فالتساؤل عن الفضاءات التي يتم بها تمثيل الطبيعة في النّص هو إشارة إلى دور الفعل التخييليّ في تشكيل هندسة جماليّة للنّص، في حين يمثّل التساؤل عن دور المكان في صناعة الحبكة تتبّعًا لسيرورات التّشكيل الخطابيّ وفق النّسق الإبداعيّ الذي يُهَيكل أركان النّص. بينما يعدّ سؤال القيم إشارة صريحة لمدى قدرة النّص على تمثّل الوعي الإيكولوجيّ المنوط به. ووفق هذا الإطار تظهر المقاربة البيئية للنّص الأدبيّ باعتبارها دعوة صريحة نحو "تأسيس أسلوبيّة أو شعريّة خاصة به، تطوّع البيئة التي ظلّت موضوعا علميا إلى مقتضيات التّخييل والتّمثيل والمجاز"[15]، بحيث يتم استنطاق مواطن التفرّد والجماليّة في النّصوص انطلاقا من عناصرها الخطابية، واعتمادا على مدخل الطبيعة الذي يؤطّرها، ليمثّل التّخييل والتّمثيل والمجاز أدوات فنيّة يتم من خلالها إظهار ملامح الجماليّة والفرادة على مستوى النّص.

وهكذا تحضر الطبيعة كنسق جمالي ضمن السياق الجديد الذي تطرحه الممارسة النقدية في حقل النقد البيئيّ، باعتبارها المظهر البارز الذي يلج في تحاور عميق مع المداخل المعرفيّة للخطاب الأدبيّ، إذ يسعى النّقد البيئيّ إلى "ترسيخ علم الجمال الواقعيّ من خلال عودة الطبيعة إلى النّقد"[16] فهي تمثّل المنطلق الذي يتم الاعتماد عليه في تأثيث النّص من جهة، وتعتبر بمثابة الإطار العام الذي تنضوي ضمنه تفاصيله من جهة أخرى، ذلك أنّ "إنسان الطّبيعة لديه فرصة كبيرة للتمتّع بالسّماء المرصّعة بالنّجوم والحقول الخضراء، والزّهور والأنهار والحيوانات، يعيش متّصلا بالطّبيعة وبعناصرها المتنوّعة إلى درجة التّقديس"[17]، فهو ينهل منها ما يسعفه في بناء تفاصيل خطابه، ويغترف من تفاصيلها ما يُذكي بها قدراته

الإبداعيّة للخوض في أفانين القول، والتدرّج في طبقات المعنى التي تنساب في تمثّلاته مثل انسياب عناصر الطبيعة المتكاملة.

تغدو الطبيعة وفق هذا الطرح مادة بنائية للنّص، ومصدر إلهام يصقل التّجربة الشّعوريّة لدى المبدع، ويُغدِق عليها خيوط النّظم، وأسارير القول، ذلك أنّ "الشّاعر توحي له بعض المشاهد انفعالات مؤثرة، فيبحث عن الألفاظ الّتي تصوّر تلك المشاهد، وتهيج النّفس بما توحي به من المعاني"[18]، فتغدو تجربة الكتابة تجربة بيئية بامتياز، يتجلّى فيها حسّ انتماء الإنسان لتفاصيل الأمكنة بما يؤثّثها من مشاهد بيئيّة تحفيزية تصقل الإبداع، وتُنضِج شِعَاب الفكر المتدفقة لحظة القول، فنكون بإزاء سياق توليديّ يرتكز على مدخلات بيئية تسهم في خلق كيمياء الخطاب الإبداعيّ المعاصر.

وحريّ بنا في هذا الموضع من الدّراسة أن نشير إلى أنّ المركزيّة التي تحظى بها الطبيعة وفق منظور روّاد أدب البيئة ونقده، لا تتساوق مع المكانة التي حظيت بها عند رواد المدرسة الرومانسية سابقا، إذ شكّلت الطبيعة عند هذه الأخيرة ملاذا يحتمي به الإنسان من وحشة الحياة، وحضنا يلوذ إليه ليشُبع عواطفه من دفئه، بينما نجدها في النقد البيئي ترتبط بالوعي الإيكولوجي الذي يحدو بالمبدع أثناء تعالقه بالمقصديات التي يتوزّع عليها الخطاب، وكذا بالقارئ الذي يتواشج مع عناصرها المركوزة في ثنايا النّصوص لنكون بإزاء وعي إيكولوجيّ مشترك يلتقي مع الدّعوة إلى ضرورة توليد علاقة تكامليّة تتّسم بالإيجابية والتوزان بين الإنسان وبيئته.

ولقد اهتم علم الجمال البيئي (Environmental Aesthetics) بالبعد الجماليّ الذي يتلمسّه الإنسان في مكونات بيئته من خلال الحديث عن المثيرات التي يتعرّض لها إدراك الإنسان حينما يحتك بالبيئة، ذلك أنّها تحوي منظومة كبيرة من متغيرات المقارنة كالجدة والتركيب والغموض، وهي المركّبات التي تمتلك القدرة على استثارة نشاط المخ البشري، ما ينجرّ عنه حالات من الرغبة في الاستكشاف والاستطلاع والتحاور بين ذات الإنسان وبيئته[19]. هذا التحاور الذي يجعل الإنسان يكتشف مواطن الجمال التي تقدّمها له بيئته أين يتم التركيز على "البيئات الإنسانية الطبيعية، المشيّدة، اليومية"[20] حسب الاهتمامات التي يتوجّه إليها علم الجمال البيئيّ في صبغته المعاصرة.

تلتقي تلك المتغيّرات ضمن المنظومة البيئية مع الخصائص الجماليّة التي يطرحها علم الجمال الفنيّ حول طبيعة النّص الأدبيّ، إذ نجد أنّ تلك المنظومة مركوزة في بنيته بما تمتلكه لغتها الهاربة ــ على حدّ تعبير مُحَمَّد بنيس ــ من إمكانات إبداعيّة، وقدرة هائلة على المراوغة والتّمنُّع، سواء على مستوى الجدّة أو التّركيب أو الغموض. وهي تندرج ضمن القضايا النّقدية التي عالجها الدّارسون منذ القديم وفق مسميّاتها النقديّة، ووقفوا عند دورها في توليد الخاصية الجمالية والفنيّة التي تجعل الخطابات الأدبيّة تَنْماز عن غيرها من الخطابات الأخرى.

عطفا على ما سبق، تظهر القيمة الجماليّة ضمن منظور النّقد البيئي باعتبارها مطلبًا مهمّا ينبغي تحصيله في العلاقة التي تجمع بين أقطاب العمليّة الإبداعيّة (المبدع، النّص، القارئ) وذلك وفق مركز جاذب يجمعها ليصهرها ضمن نطاق مشترك ينطلق من الطبيعة ويرجع إليها، لتكون هي البؤرة التّوليديّة لتمثّلات المبدع ونماذجه التّصورية حول ما سيكتبه، وتشكّل كذلك المظهر الجماليّ الذي يوشّح النّص بمكامن إبداعيته، كما تمثّل المرتكز الذي يستند إليه القارئ وهو يحفر بين طبقات المعنى ليستخرج منها الدّلالة، ويقف فيها على نقاط الالتقاء التي توافق ذائقته الأدبيّة وتستجيب لنوازعه الدّاخليّة وفق وعيه الإيكولوجيّ.

3. تحولات ما بعد الحداثة وجدوى الطّرح الإيكولوجيّ:

إنّ أبرز التغيرات التي صاحبت تحولات ما بعد الحداثة هو ذاك التغيّر في طبيعة البراديغم الذي يسوس المعرفة المعاصرة، التي أصبحت تقوم على فكرة الانفتاح والتّجاور على اعتبار أنّ "حقول المعرفة المختلفة لم تعد _كما في أزمنة سابقة_ جزرا منعزلة، ولا مناطق معرفيّة مسيّجة ومتماسكة الحدود، بحيث يحافظ كل مجال أو حقل معرفيّ على أحاديته Unidisciplinarite أو قل على شخصيته المتميزة، نظرية ومنهجا ومصطلحا وإجراءً، بل حتى على ادعاءاته أو وعوده بأنّه يستطيع أن يمسك بالحقيقة ويستحوذ على المعنى"[21] وهو ما وسّع الأفق الذي انبثقت منه الدّعوة إلى تجاوز المركزيات العقليّة التي فرضتها تمظهرات الحداثة، وعمل على تقويضها، وبالتالي كبح جماح هيمنة الإنسان على المنظومة البيئية، وإعادة التّفكير في قلب موازين الرؤى، والتّمكين للخطابات التي تكون أكثر تمثّلا للوعي الإيكولوجي.

وفي هذا المضمار تجدر الإشارة إلى أنّ مسار النّقد البيئيّ لم يكن مرتبطا كليّة بالتيارات التي تأسّست منذ بداية النّصف الثّاني من القرن العشرين حول علاقة الإنسان بالبيئة ومعطياتها _ كما فصّلنا فيه سالفا _ فحسب، بل كانت له كذلك تقاطعات مع المسار الفكريّ والفلسفيّ لنقد الحداثة منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ومع تجديد المقاربات وتقاطع الاختصاصات في مرحلة الحداثة أصبحت البيئة تعني المحيط الإيكولوجي لحياة الإنسان بما يشمل من نبات وحيوان وماء وهواء وتراب[22]. وهذا الفصل بين الإنسان وباقي عناصر البيئة هو ما خوّل لروّاد الطرح الإيكولوجيّ أن ينتفضوا على السّلطة التي كان يمارسها الإنسان على باقي الكائنات التي تتشارك معه الحياة، على اعتبار أنّ الإنسان هو مركز الكون ومدار القوة الفاعلة ضمن فلسفة الحداثة. وهي القضيّة التي رفضها نقاد البيئة وأحدثوا قطيعة معها وهم يؤسّسون لمواقفهم الجديدة، وهو ما يجعل خطاب البيئة ونقده وثيق الصلة بالطروحات التي ارتبطت بنقد الحداثة وتحولاتها فيما بعد.

إنّ انفتاح النّقد البيئي على مجالات البحث الاجتماعي والبيولوجيّ والثّقافيّ أمكنه "من وضع وظيفة جديدة للأدب تهندس عمله، وتميّز علاقته بالطبيعة بالرغم من الاتفاق حول أنّ حياة الإنسان متّصلة بالكون، تأخذ منه وتعطيه؛ فيقتات هذا النّقد من الحداثة وما بعدها تصوراته ومفاهيمه مثل قضايا المرأة والعرق من أجل البحث عن روافد معرفية ومعين فلسفي ونقدي ينضجه لتحليل الفن"[23]، ويجعله يتماشى وخصوصية الوظيفة التي يتصورها للأدب، ليكون أكثر قدرة على التّغلغل في عمق التجارب الإبداعيّة لمعالجتها وفك شفراتها بما يستجيب لطبيعة المرحلة الجديدة التي تلّح على فكرة البَيْئنة والتّعابر المعرفيّ.

وفي هذا الصّدد يرى رالف بلاك (Ralph W. Black) أنّ "التّفاعل الحاصل بين الشخصيات والنظم البيئية في النص الأدبي يحتاج إلى نهج متعدد التخصصات لتحليله بدقة، وذلك لفهم علاقتنا بالنّص من جهة، وعلاقتنا بالعالم الخارجيّ الذي يكون القارئ جزء منه من جهة أخرى، فالعلاقات البيئية في النص الأدبي غالبًا ما تمتد إلينا وتورطنا في شبكتها ضمن فعل القراءة"[24]، وهو ما يجعل عمليّة القراءة وفق هذا الطرح تنفتح على العناصر البيئية التي تختزلها بنية النّصوص الأدبيّة، بل وتمتدّ لتشكّل مرجعا مهما يتم من خلاله الكشف عن طبيعة النّص بالاستناد إلى نظرة كليّة تكامليّة تعتمد تعابر التّخصصات وبيْئية القراءة.

كما يدرج ديفيد كارتر (David Karter) في كتابه النّظريّة الأدبيّة النّقد البيئيّ ضمن الاتجاهات الجديدة التي رافقت فترة ما بعد الحداثة، وذلك بالموازاة مع التاريخانية الجديدة والماديّة الثقافية والنقد الجيني والجمالية الجديدة[25]، وهو ما يسوّغ اعتبارنا النّقد البيئي من المقاربات الرامية إلى فكرة تجاوز المركزيات السابقة التي مجّدتها الحداثة، بل وتعمل على دحضها وكسر أفق استمراريتها، وبخاصّة فيما يتعلّق بالروائز الطبيعية التي يقوم عليها وجود الإنسان، وتَعضُد كينونته وتضمن أسباب بقائه، لنؤكد أنّ نقاد البيئة سعوا لإحداث قطيعة مع نسق المعرفة السابقة الذي تبلورت في ظلّه رؤاهم النقدية ضمن سيرورة النظرية الأدبية عموما. وما التحولات التي جاءت بها مرحلة ما بعد الحداثة إلا استجابة لهذه المواقف، لنكون أمام مشروع بيئي يؤسّس لوجوده في الساحة النقدية المعاصرة، ويسعى ــ وفق مبدأ التراكم الذي أشرنا إليه آنفا ــ لبسط رؤاه التجديدية وفق وعي معرفيّ إيكولوجيّ خاص.

ومن هنا يأتي سؤال الجدوى المصاحبة لهذا الطرح الإيكولوجيّ، فهل يمكن القول إنّ الطموحات التي ينشدها الخطاب النقدي البيئي وجدت ضالتها ضمن التسارع الكبير الذي شهدته تحولات ما بعد الحداثة؟ واستطاعت أن تفرض مشروعا نقديا يمتلك آليات إجرائية ناضجة ومصطلحات عميقة وإطارا نظريا رصينا؟ أم أنّها لا تعدو أن تكون ردّة فعل عن الكبت الدّفين الذي مارسته مفاهيم الحداثة على علاقات الحياة ومعادلاتها الكونية؟

ينبغي أن نشير بداية إلى أنّ الإجابة الوافية عن هذه التساؤلات ليست مُحَيّنة تماما، وذلك يرجع لكون هذا الحقل المعرفي لا يزال في مراحل التشكّل، وإن كان قد قطع شوطا كبيرا من حيث اهتمام الدّارسين، وكثرة الدّراسات بل وتزايدها المستمر حوله تعريفا وشرحا وعرضا ومناقشة وتطبيقا، ممّا شكّل نتاجا معرفيا هائلا يحمل هم الوعي الإيكولوجيّ، ويعكس استجابة الفكر المعاصر لفحواه. وتحضر على سبيل التمثيل العديد من الإسهامات التي كان لها تأثير واضح في التّأسيس لهذا الطرح نذكر منها[26]: كتاب (النقد البيئي الأدبي 1994) لكارل كروبر (Karl Kroeber) كتاب (القراءة النقدية البيئية) لهارولد فروم (Harold Fromm) وشيرلي غلوتفيلتي (Cheryll Glotfelty) كتاب (الخيال البيئي) مع كتاب(مستقبل النقد البيئي: الأزمات البيئية والخيال الأدبي) للورنس بويل (Lawrence Buell) كتاب (كوميديا البقاء في الحياة) لجوزيف مايكر (Joseph Meeker) كتاب (من أجل نقد بيئي تفكيكي) لتيموتي كلارك (Clark Timothy) كتاب (النقد البيئي أو البيئوي) لجريج جرارد (Greg Garrard) وغيرها من التصانيف التي أصّلت للنقد البيئي وأسّست له في الفكر الغربيّ المعاصر.

إنّ الأمر الذي يمكن التركون إليه دون توجّس منهجيّ في محاولة للإجابة عن تلك التساؤلات، يرتبط بالغاية التي ينشدها نقاد البيئة وهم ينادون بضرورة استحضار الوعي الإيكولوجيّ في قراءة النّصوص وتحليلها، إذ قادتهم الدّعوة إلى توجيه الاهتمام نحو علاقة الإنسان بالطبيعة من خلال وساطة الأدب إلى وضع الإنسان (القارئ/المبدع) في مواجهة عواقب هيمنته السلبية على البيئة، ليجد نفسه يقف أمام عملية التطهير التي نادى إليها أرسطو بشكل أو بآخر، فحين يدرك الإنسان عواقب أفعاله ضمن النتائج التأثيرية التي يحدثها الخطاب بنسقه التّمثّلي على مستوى بنيته الذهنية، نستطيع القول إنّه قد امتلك وعيا إيكولوجيا بقصد منه أو بغير قصد، وسواء قام بنقل ذلك الوعي من مستوى القوة إلى مستوى الفعل أم أبقى عليه خامدا على مستوى تمثلاته فقط.

وعليه فإنّ جدوى الوعي الإيكولوجيّ تتجلّى على المستوى التمثّلي والعمليّ في فكر الإنسان وأفعاله؛ حيث يتولّد لديه الإحساس بالمسؤوليّة تجاه بيئته وعناصر الطبيعة التي ينتمي إليها، مما يقوده ــ إن هو غلّب نوازع ضميره ــ إلى بذل الأسباب التي تسهم في الحفاظ على البيئة وحمايتها، وبالتالي نكون أمام تشكّل ثقافة بيئية تجمع الإنسان بالبيئة ضمن علاقة مُنتجة، يقدّم كل طرف فيها ما يخدم الآخر دون ضرر، لتندرج هذه الثقافة ضمن متطلبات الوعي الإيكولوجي المنشود.

ومن جهة أخرى تلعب جماليات البيئة دورا مهما في توجيه وعي الإنسان ببيئته، ذلك أنّها تخاطب فيه ميولاته الذّاتية نحو الحفاظ على الأشياء التي تعجبه وتجذب روحه من خلال تحقيقها عنصر المتعة لديه، سواء كانت "جماليات حسيّة (Sensory) أو شكليّة (Formal) أو رمزيّة (Symbolic)؛ حيث تهتم الجماليات الحسية بتلك المتع التي يجنيها المرء عند تلقيه بعض الإحساسات الخاصة من البيئة: إنّها تهتم بالأصوات والألوان والملامس والروائح. أمّا الجماليات الشكلية فتعنى أكثر بتذوق الأشكال، والإيقاعات والكتل والفراغات والتركيبات أو التتابعات الخاصة بأحداث معينة مستمدة من العالم البصري. وتتعلّق الجماليات الرمزية بالمعاني الموجودة في البيئة، والتي تمنح الأفراد بعض المسرات أو المتع الخاصة"[27]. وانطلاقا من تشكّل هذه العلاقة التي تتجسد في إطار الأخذ والعطاء كذلك، يمكن أن يتحقّق الوعي الإيكولوجيّ لدى الفرد، بحيث ينتقل تركيزه نحو الكيفية التي يمكن من خلالها الحفاظ على مصدر تلك الجماليات والمتع السابقة، وهو ما يستلزم التحامه بعناصر الطبيعة والبيئة التي تمنحه شعور اللذة، فيدخل معها في علاقة جاذبة يبذل من خلالها قصارى جهده كي لا ينقطع مَعِينها، وبالتالي تتم المحافظة عليها وعلى مواردها الجماليّة.

ومن خلال تولّد ذلك التواشج بين الإنسان والجماليات التي تقدّمها له البيئة، تتحقق كذلك الجدوى من الدعوة إلى تبني الطرح الإيكولوجيّ، إذ "يعتبر الاهتمام بجماليات البيئة واحدا من طرق التغلب على المشكلات البيئية الكارثية التي تهدّد الحياة على كوكب الأرض... إنّ ترسيخ الشّعور بالجماليات البيئية لدى أفراد المجتمع من شأنه أن يجد انعكاساته الإيجابيّة في طرق تعاملهم مع بيئاتهم المختلفة بالشكل الذي يحافظ عليها ويضمن عدم التغوّل عليها"[28]. وعلى هذا الأساس جاءت الدّعوة إلى النّقد البيئي بهدف "تحليل العمل الأدبي من أجل إبراز تأثير البيئة في إيجاد وعي ثقافي له دور في تغييّر النّظرة للبيئة؛ مما يعمل على تجديد النّظام الثقافيّ نفسه".[29]، هذا النّظام الذي يؤطّر جهود البشريّة لتحقّق ما يخدمها، ويخدم المنظومة البيئية التي تعيش في ظلّها بشكل متجانس تتكامل فيه المعارف على اختلاف مرجعياتها وتخصصاتها.

كما أنّ تداعيات الواقع يمكن أن تشير إلى أهميّة تمثّل الوعي الإيكولوجيّ الذي تبيّن أنّه يعمل على سدّ الفجوات التي أحدثتها فترة الحداثة، ويتعالى عن الأزمات التي قد يقع فيها الإنسان إن هو أساء التعامل مع بيئته، أو قرّر العودة إلى استغلال قدراته لفرض سيطرته السلبيّة على عناصر بيئته. وبخاصّة مع ما يعرفه الراهن من تغيرات متسارعة ارتبطت بالتحوّل الرقميّ الذي تشهده الساحة المعاصرة، بحيث غمرت التكنولوجيا والذّكاء الاصطناعيّ حياة الأفراد والمجتمعات، ولم يعد بالإمكان العيش بمعزل عن تأثيراتها وامتداداتها داخل تفاصيل الحياة اليوميّة التي يعيشها الأفراد.

الخاتمة:

إنّ مجمل القول حول الطّرح الذي جاء به النّقد البيئيّ ضمن تحولات الممارسة النّقدية في مرحلة ما بعد الحداثة، يقودنا إلى التأكيد على المنحى الجديد الذي تبنته مقولاته النّقديّة، إذ بالرغم من أنّه استقى روافده المعرفيّة من مجالات

متعددة إلا أنّه استطاع أن يؤسّس مشروعه النّقديّ الخاص ضمن المقاربات المعاصرة، ليعيد للبيئة مكانتها داخل الخطابات الأدبيّة، ويجعل منها مرتكزا مهمّا في تحليل النّصوص والوقوف عند جماليتها ومسارات تأويلها. وقد خلصت دراستنا هذه إلى مجموعة من النّتائج نوردها فيما يأتي:

- يعدّ النّقد البيئيّ فرعا جديدا ضمن النظريّة النّقدية المعاصرة، وهو مقاربة تبحث في العلاقة القائمة بين الأدب والبيئة من حيث الاهتمام بما تحمله النّصوص الأدبيّة من إحالات بيئيّة، تتجلّى ملامحها من خلال المنظور الذي يقدّمه عنها الخطاب الأدبيّ في صبغتها الإبداعيّة.

- تتوزّع الخلفيّة المعرفيّة التي نشأ النّقد البيئي في ظلّها على مرجعيات متعددة، إذ ارتبط ظهوره بالحراك الفكريّ الذي ندّد بالخروقات الحاصلة على مستوى البيئة، والضرر الكبير الذي لحق بها جرّاء الممارسات غير المسؤولة من قبل الإنسان على مختلف عناصرها، فكانت الدّعوة إلى ضرورة خلق معادلة التوازن البيئي محفّزا على بلورته ضمن الفكر المعاصر عموما، ثمّ انتقل إلى الساحة الأدبيّة والنقديّة على وجه الخصوص.

- تعتبر الدّراسات الثقافية من الروافد الأساسية التي استقى النّقد البيئي منها مقولاته، كونها تدرج البيئة ضمن أهم القضايا الثقافية التي ينبغي تسليط الضوء عليها، وتفكيك الأنساق المضمرة التي تحملها الخطابات المعبّرة عنها. كما مثّلت الرومانسية إطارا مرجعيا استند إليه النّقد البيئيّ من خلال تركيزه على الطبيعة لتكون بؤرة الاهتمام والقضية المركزية والمشتركة بينهما من حيث الصلات والامتدادات.

- يعدّ اهتمام النّقد البيئي بالطبيعة بمثابة إعادة استدعاء لمفهوم السّياق في الدّراسات المعاصرة، إذ مثّلت نسقا جماليا يستلهم منه المبدع مواد خطابه، لينسج من تفاصيلها أفكاره ويصوغ منها رؤاه وتمثّلاته، وفي المقابل مثّلت بالنّسبة إلى القارئ سياقا موازيا يبحث عن تمظهراته في ثنايا الخطاب، ويسعى لكشف مضمراته وخباياه، لتندرج الطبيعة بهذا ضمن نسق الكتابة ونسق التلقي، بالموازاة مع كونها تشكّل السياق الدّاخليّ الذي يؤثّث نسق النّص في حدّ ذاته بمصطلحاتها والإشارات التعبيرية الدّالة عليها.

- أسهمت جماليات البيئة في توجيه اهتمام نقاد البيئة نحو مواطن الجماليّة، بحيث توزّعت على جانبين؛ ارتبط الأوّل بالمعطيات التي تقدّمها البيئة من خلال التركيز على خاصية الجدّة والتركيب والغموض، ليرتبط الجانب الثاني بالخصائص البنائية التي تقدّمها لغة النّص التي تكون على مستوى عال من الفرادة والإبداعيّة.

- يعالج النّقد البيئي مجموعة من القضايا النقديّة على مستوى مقاربته، ترتبط بالكيفية التي يتم بها تمثيل الطبيعة في النّصوص، والدّور الذي يقوم به المكان في بناء عناصرها، وكذا البحث في المقاصد البيئية التي يشتمل عليها النّص، إضافة إلى السعي نحو تطويع العناصر البيئية لتتماشى مع الوسائل الإبداعية المستخدمة في التعبير عنها كالتخييل والمجاز والتمثيل وغيرها.

- ينأى النّقد البيئي عن حصر البعد الجمالي في النّظر إلى الأعمال الإبداعيّة ضمن مُخرجات ما تقوله القراءة المحايثة أو المغلقة للنّص، بل يجعلها ترتبط بما تحمله من معاني تعبّر عن الطبيعة والعناصر البيئية، لتغدو الممارسة النّقديّة ممارسة تتميّز بالانفتاح والانعتاق والتّجدّد الذي تفرضه طبيعة البيئة المتجدّدة، وخصائصها المتغيّرة التي تأبى السّكون والرّكون إلى

الثّبات، لتحتاج بهذا إلى خاصية التعابر والتداخل المعرفي بين مختلف التخصصات، وهو ما يجعل فعل القراءة يتّسم بالبَيْنِيَة.

- أسهم التحول الذي مسّ براديغم المعرفة المعاصرة ضمن مرحلة نقد الحداثة وما بعدها في توجيه الخطاب النّقدي البيئي، وهو ما جعل الدّارسين يدرجونه ضمن الاتجاهات الجديدة التي جاءت مع تحولات ما بعد الحداثة، تعبيرا عن مبدئه الرامي إلى تجاوز المركزيات التي فرضها تقديم العقل والعلم عند الإنسان، والتي كانت لها تداعيات سلبية على البيئة وعناصرها.

- ارتبطت أهم قضيّة يركّز عليها نقاد البيئة بضرورة استحضار الوعي الإيكولوجيّ عند الإنسان بشكل عام، سواء على مستوى التمثّل أو على مستوى الفعل؛ حيث أسهمت جماليات البيئة في توليد هذا الوعي من خلال خلق عنصر المتعة لدى الإنسان وهو يتفاعل مع العناصر البيئية الموجودة على مستوى الواقع، أو على مستوى الخطاب الأدبيّ. ليكون لهذا الوعي دوره المهم في مواجهة التحدّيات التي يفرضها الراهن على المنظومة البيئية والإنسانية بصفة عامة.

هوامش:

[1]- ينظر: عبير جودت حافظ عبد الحافظ، 2024، النقد البيئيّ ونظريّة الأدب دراسة في نماذج روائيّة عربيّة معاصرة، ط 1، الأردن، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، ص 11.

* تعود المرجعيات التي تأسّس عليها حقل النقد البيئي في الدّراسات الأدبيّة إلى حركة ومسار تدريجيّ ظهر في أوروبا وأمريكا، يتداخل فيه الجانب العلمي والسياسي والاجتماعيّ والاقتصاديّ والثقافيّ؛ حيث بدأ مع نشأة العلوم الطبيعية المختصة مثل البيولوجيا والتّعدين والمورفولوجيا، وكذا الدّراسات التي تهتم بالنبات والحيوان، إضافة إلى التيار الذي نادى إلى ضرورة حماية البيئة من الاستغلال غير المحدود لمواردها دون اعتبار للنتائج الناجمة عن ذلك على حاضر الإنسان ومستقبله، وهو ما ولّد الوعي بأهميّة البيئة وفق فكر قائم بذاته يجعل من الطبيعة محور اهتمامه، ليصبح هذا الخطاب نقطة التقاء بين حقول معرفية متعددة؛ بحيث يرتكز حديثنا هنا حول حضور هذا النّوع من الخطاب ضمن سياق الدّراسات الأدبيّة والنقدية المعاصرة. لمزيد من التفصيل يراجع: عبد الحميد العبيدي، 2020، محاولة في فهم تقاطعات الخطاب البيئي مع مسار نقد الحداثة، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، المجلد 8، العدد 31، ص 116.

[2]- توماس كون، 2007، بنية الثورات العلميّة، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، ط 1، لبنان، المنظمة العربيّة للتّرجمة، ص 340.

[3] - Abolfazl Ramazani & Elmira Bazregarzadeh, 2014,An Ecocritical Reading of William Wordsworth's Selected Poems, Published by Canadian Center of Science and Education, English Language and Literature Studies; Vol. 4, No. 1.

[4]- أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوريّ، 1986، عيون الأخبار، تحقيق: يوسف علي طويل، ط 1، لبنان، دار الكتب العلمية، ج 2، ص 199، 200.

[5]- ينظر: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، 1994، الأغاني، ط1، لبنان، دار إحياء التّراث العربي، ج 8، ص 358، 359.

[6]- مُحَمَّد ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، تحقيق: محمود مُحَمَّد شاكر، المملكة العربية السعودية، دار المدني بجدّة، ج 1، ص 55.

[7] - Michael P. Branch, Defining Ecocritical Theory and Practice, Sixteen Position Papers from the 1994 Western Literature Association Meeting, Salt Lake City, Utah--6 October.

[8] - ينظر: عبير جودت حافظ عبد الحافظ، النّقد البيئيّ ونظريّة الأدب، ص 20.

[9] - ينظر: خميسي آدامي، 2021، من أجل لغة خضراء محاولة في فهم أدب البيئة ونقده، مجلة أبوليوس، جامعة مُحَمَّد الشريف مساعدية، سوق أهراس، الجزائر، المجلد 8، العدد 2، ص 108.

[10] - المرجع نفسه، ص 108.

[11] - المرجع نفسه، ص 109.

[12] - عز الدين إسماعيل، 1974، الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، ط 3، دار الفكر العربي، ص 63.

[13] - مُحَمَّد أبو الفضل بدران، 2015، أهميّة النّقد الأدبيّ البيئي في الدراسات النقدية، مجلة أبحاث، المجلس الدولي للغة العربية، دبي، أعمال المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، ص 196.

[14] - ديفيد كارتر، 2010، النّظرية الأدبية، ترجمة: باسل المسالمه، ط 1، سوريا، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ص 154.

[15] - خميسي آدامي، من أجل لغة خضراء محاولة في فهم أدب البيئة ونقده، ص 111.

[16] - مُحَمَّد أبو الفضل بدران، أهميّة النّقد الأدبيّ البيئي في الدراسات النقدية، ص 195.

[17] - مونيس بخضرة، 2009، تاريخ الوعي: مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع، ط 1، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون- - الجزائر منشورات الاختلاف، ص 39.

[18] - سميح عاطف الزين، 1991، علم النفس معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، ط1، مجمع البيان الحديث، لبنان دار الكتاب اللبناني- مصر، دار الكتاب المصريّ، ص 166.

[19] - ينظر: شاكر عبد الحميد، 2001، التفضيل الجمالي دراسة في سيكولوجية التذوق الفني، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 400.

[20] - بدر الدين مصطفى أحمد، 2021، علم الجمال البيئي حدوده مقارباته مجالاته، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم، مصر، المجلد 13، العدد 2، ص 525.

[21] - خميسي آدامي، من أجل لغة خضراء محاولة في فهم أدب البيئة ونقده، ص 101.

[22] - ينظر: عبد الحميد العبيدي، محاولة في فهم تقاطعات الخطاب البيئي مع مسار نقد الحداثة، ص 116، 117.

[23] - أسامة حسين شاهين، 2022، النقد البيئي والدّراسات البينية، مجلة العلامة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، مجلد 7، العدد 1، ص 166.

[24] - Ralph W. Black, What We Talk About When We Talk About Ecocriticism, Sixteen Position Papers from the 1994.

[25] - يطرح كارتر هذه الاتجاهات على أنّها تيارات جديدة جاءت بعد أن فقدت الحداثة بريقها، وقدّم أصحابها طروحات تنطلق من الحداثة لتخالفها، وتفرض مواقفها لتسدّ بها الفراغات المعرفيّة التي تركتها الحداثة. لمزيد من التّفصيل يراجع: ديفيد كارتر، النظرية الأدبية، ص 147-154.

[26] - جميل حمداوي، (19 مارس 2012) النقد البيئي أو الإيكولوجي، بتاريخ: 7 مارس 2025، الساعة: 22:30. /https://www.alukah.net/literature_language

[27] - شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي دراسة في سيكولوجية التذوق الفني، ص 397، 398.

[28] - بدر الدين مصطفى أحمد، علم الجمال البيئي حدوده مقارباته مجالاته، ص 526.

[29] - عبير جودت حافظ عبد الحافظ، النّقد البيئيّ ونظريّة الأدب، ص 11.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، 1994، الأغاني، ط1، لبنان، دار إحياء التّراث العربي، ج 8.
2. أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوريّ، 1986، عيون الأخبار، تحقيق: يوسف علي طويل، ط 1، لبنان، دار الكتب العلمية، ج 2.
3. توماس كون، 2007، بنية الثورات العلميّة، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، ط 1، لبنان، المنظمة العربيّة للتّرجمة.
4. ديفيد كارتر، 2010، التّظرية الأدبية، ترجمة: باسل المسالمه، ط 1، سوريا، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
5. سميح عاطف الزين، 1991، علم النّفس معرفة النّفس الإنسانية في الكتاب والسنة، ط1، مجمع البيان الحديث، لبنان دار الكتاب اللبناني- مصر، دار الكتاب المصريّ.
6. شاكر عبد الحميد، 2001، التفضيل الجمالي دراسة في سيكولوجية التذوق الفني، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
7. عبير جودت حافظ عبد الحافظ، 2024، النّقد البيئيّ ونظريّة الأدب دراسة في نماذج روائيّة عربيّة معاصرة، ط 1، الأردن، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع.
8. عز الدين إسماعيل، 1974، الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، ط 3، دار الفكر العربي.
9. مُحَمَّد ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، تحقيق: محمود مُحَمَّد شاكر، المملكة العربية السعودية، دار المدني بجدّة، ج 1.
10. مونيس بخضرة، 2009، تاريخ الوعي: مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع، ط 1، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون- الجزائر منشورات الاختلاف.
11. Abolfazl Ramazani & Elmira Bazregarzadeh, 2014,An Ecocritical Reading of William Wordsworth's Selected Poems, Published by Canadian Center of Science and Education, English Language and Literature Studies; Vol. 4, No. 1.
12. Michael P. Branch, Defining Ecocritical Theory and Practice, Sixteen Position Papers from the 1994 Western Literature Association Meeting, Salt Lake City, Utah--6 October.
13. Ralph W. Black, What We Talk About When We Talk About Ecocriticism, Sixteen Position Papers from the 1994, Western Literature Association Meeting, Salt Lake City, Utah--6 October.

المجلات:

1. أسامة حسين شاهين، 2022، النقد البيئي والدّراسات البينية، مجلة العلامة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، مجلد 7، العدد 1، ص 162-178.
2. بدر الدين مصطفى أحمد، 2021، علم الجمال البيئي حدوده مقارباته مجالاته، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم، مصر، المجلد 13، العدد 2، ص 471-530.
3. خميسي آدامي، 2021، من أجل لغة خضراء محاولة في فهم أدب البيئة ونقده، مجلة أبوليوس، جامعة مُحَمَّد الشريف مساعدية، سوق أهراس، الجزائر، المجلد 8، العدد 2، ص 100-114.
4. عبد الحميد العبيدي، 2020، محاولة في فهم تقاطعات الخطاب البيئي مع مسار نقد الحداثة، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، المجلد 8، العدد 31، ص 115-137.
5. مُحَمَّد أبو الفضل بدران، 2015، أهميّة النّقد الأدبيّ البيئي في الدراسات النقدية، مجلة أبحاث، المجلس الدولي للغة العربية، دبي، أعمال المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، ص 193-203.

المواقع الإلكترونية:

1. جميل حمداوي، (19 مارس 2012) النقد البيئي أو الإيكولوجي، بتاريخ: 7 مارس 2025، الساعة: 22:30.
https://www.alukah.net/literature_language